فِي غَارِ حِرَاء

مَضَى اثنَا عَشَرَ عامًا علَى زواجِ الرَّسولِ ﷺ منْ خديجةَ وقدْ قاربتْ سنُّه الأربعينَ، وبدأَ ينفرُ منْ حياة الجاهلية منْ حَوله، وحُبِّبَ إليه الخلاءُ، فكانَ يأخذُ طعامَه وشيئًا من الماء، ويذهبُ إلى غارِ حِراء في جبلِ النورِ، وهوَ يبعُدُ نحوَ ميلينِ منْ مكةَ.

كانَ يقيمُ ﷺ في غار حراء الليالي ذوات العدد، يقضي وقتَه في التفكيرِ فيمَا حولَه من مشاهد الكَون وما وراءَها منْ قُدرة خَلَّاقة مُبدعة، فتجتمع له ثلاث عبادات: الخلوة، والتعبد، والنظر إلى الكعبة، لأن غار حراء مطل على الكعبة وكانَ اختيارُهُ ﷺ لهذه العزلة طرفًا منْ تدبيرِ الله؛ ليُعدَّه لما ينتظرُه منَ الأمانةِ الثقيلةِ والرسالةِ العظيمة.

انقطعَ ﷺ في غار حراء عن شَواغل النَّاس في حَياتهم الجاهليَّة، وأخذَ يتأمَّلُ فيما وراءَ هذَا الوجود، وقومُهُ في لهو وضَلال وعَمًى، يعبدونَ حجارةً لا تنفعُ ولا تضرُّ، وودَّ لو يغيِّرُ ما عليه قومُه منْ عقائدَ واهية، لا تليقُ بإنسانٍ لهُ عقلٌ يميِّزُه عنْ غيرِه منَ المخلوقاتِ.

ولما أكملَ الأربعينَ من عمره، وحانَ موعدُ الحادث الذي غيَّر مجرَى حياته، والذي كانَ اللهُ - سبحانَه وتعالَى - يُعدّه لهُ منذُ أربعينَ سنةً.. إنهُ نزولُ الوَحي وبدءُ تبليغِ الرسالةِ.

obeikandl.com